وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أم البو اقي
قسم العلوم السياسية، رقم الهاتف : 032-56-31-38
Site : http://www.univ-oeb.dz/fdsp/ Email : politicaldeprtoeb@gmail.com

إعداد: د. عبد الرحمان فريجة
Abderrahmane.fridja@univ-oeb.dz

أم البواقي، في: 2023/11/05

المحاضرة رقم (05):
المداخل النظرية الكبرى في علم الاجتماع
ـــ المدخل الوضعي ـــ

الفئة المستهدفة: محاضرة في **مقياس مدخل لعلم الإجتماع**
موجهة لطلبة السنة الأولى ليسانس علوم سياسية تخصص
جذع مشترك السداسي الأول
للسنة الجامعية (2024/2023)

مقدمة

أبرزت المحاضرات السابقة، اسهامات المؤسسين والمفكرين في هذا الحقل السوسيولوجي، وقد تجسدت هذه الاجتهادات الفكرية في محاولات هؤلاء المفكرين نحو فهم الظواهر الاجتماعية وتحليل الحياة الاجتماعية بشكل عام، والكشف عن طبيعتها، لكن بتصورات نظرية مختلفة باعتبار أن النظرية كانت موجها علميا في اجراء تلك التحليلات والدراسات، وهو الأمر الذي جعل عملية تطور النظرية السوسيولوجية مرتبطة بمراحل تطور علم الاجتماع ذاته.

تشير العديد من الدراسات إلى أن تطور هذا الحقل وارتباطه بعديد المفكرين من مختلف التخصصات العلمية أدى إلى بروز الكثير من المداخل والرؤى النظرية لعلم الاجتماع (كما هي موضحة في الشكل المقابل).

وعلى الرغم من أن علم الاجتماع اليوم الذي يضم مجموعة واسعة من المذاهب والمدارس التي قدمت مناهج ونظريات ومنهجيات ونماذج فكرية متعددة، إلا أننا سنركز على ثلاث مداخل نظرية أساسية، وهي : **المدخل الوضعي** (البنيوية-الوظيفية-البنائية الوظيفية)، **المدخل الصراعي** (النظرية الماركسية التقليدية والمحدثة)، **النظرية النقدية**.

في الشكل المقابل: على اليمين تبين **شجرة علم الاجتماع** تطور /نمو المجال ونشأته من **الجذور** أي الفكر الاجتماعي وممهداته، **والجذع** الذي يمثل مرحلة تأسيس العلم مع مختلف العلماء، اما **الفروع** فإنها تشير للمدارس الناشئة في السوسيولوجيا. أما **الخريطة الذهنية** على اليسار فإنها تبين علم الاجتماع كمركب من مواضيع فوقية كبيرة لها علاقة وطيدة بالمناهج والموضوعات المتفرعة المختلفة.

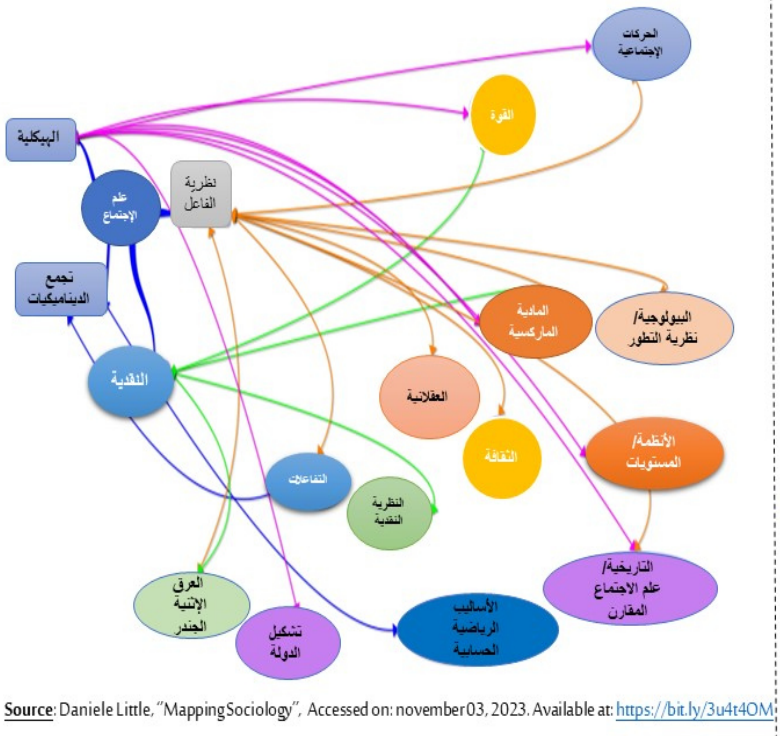

Source: Daniele Little, "Mapping Sociology", Accessed on: november 03, 2023. Available at: https://bit.ly/3u4t4OM

المصدر: بتصرف من الباحث اعتمادا على، خواجة عبد العزيز، "في علم الاجتماع المعاصر: من الجذور إلى الحرب العالمية الثانية" (دار نزهة الألباب، 2007)، ص.11.

أولا – المدخل الوضعي:

ينسب المدخل الوضعي لأوغست كونت (1798-1858)، الذي قدم أفكاره الوضعية في كتابه الموسوم بـ "الفلسفة الوضعية"، فهذا المؤلف الذي جاء في مجلدين شرح فيه أن السوسيولوجيا الوضعية هي العلم الذي يدرس الظواهر الكلية والافعال الإنسانية الناتجة عن هذا العقل. والحقيقة أن علم الاجتماع الوضعي لا يهتم بالعقل الإنساني في حد ذاته (كيف يفكر)، بل بالنتائج المتراكمة والمجتمعة عن استعماله.

تهتم الوضعية بدراسة المجتمع الإنساني دراسة كلية، دراسة علمية موضوعية بالاعتماد على العقل والمنطق ثم الخبرة والتجربة، وذلك باستخدام أداوت بحثية متعددة أهمها الملاحظة والمقارنة وتتبع الأحداث التاريخية المتعاقبة.

عموما يمكن تناول المدخل الوضعي من خلال تطرقنا لثلاث نظريات أساسية:

- ❖ النظرية البنيوية (Structuralist Theory)
- ❖ النظرية الوظيفية (Functional theory)
- ❖ ثم البنائية الوظيفية (Structuralist-Functional theoryy)

1- النظرية البنيوية (Structuralist Theory)

تأسست البنيوية في نهاية القرن 19، واستمرت بالنمو والتطور حتى بعد منتصف القرن 20. وأعتمد تأسيسها على أهم رواد الوضعية، الذين وضعوا بصمتهم فيها ، في كل فترة معينة عاشوا فيها.

- ➢ انطلقت الوضعية مع أوغست (1858/1798) : منتصف القرن التاسع عشر، في كتابه الفلسفة الوضعية.

- ثم مع مارسيل ماووس (1950/1872): في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين: كتاب الهدية.
- وفي كتاب البنى الأولية للقرابة يؤسس كلود ليفي ستراوس (1986/1908): للوضعية في سيتينيات وسبعينيات القرن العشرين.
- يؤكد البنيويون على دراسة البنى والأنساق الاجتماعية المكونة للبناء الاجتماعي: كالبناء الأسري، الديني، التربوي، الاقتصادي، الثقافي.
- كما تدرس البنيوية طبيعة البناء، وعلاقة هذه الأبنية ببعضها البعض في المجتمع، وكيف يتغير النسق/الانساق من كل لآخر، والعوامل المؤدية إلى تغير النسق.

المبادئ الأساسية للنظرية البنيوية:

تقوم البنيوية على جملة من المبادئ الأساسية العامة:

❖ **المبدأ الأول، لكل مجتمع إنساني بناء اجتماعي متكامل:**

- يتكون هذا البناء الاجتماعي من نظم اجتماعية فرعية ذات أغراض محددة تربوية، دينية، اقتصادية، سياسية)؛
- تتكون هذه النظم في حد ذاتها من نظم فرعية أخرى وتكون شديدة الإرتباط والتساند فيما بينها؛
- وأن أي تغيير يحدث في بناء نظام فرعي يؤدي على تغير بقية الأنظمة الفرعية ومعها البناء الاجتماعي ككل.

❖ **المبدأ الثاني، يمكن تحليل البناء الاجتماعي إلى عناصره الأولية،**

- وهي : المؤسسات الاجتماعية، الأدوار البنيوية، الحقوق والواجبات؛
- البناء الاجتماعي يتكون من جملة من المؤسسات الاجتماعية لكل مؤسسة دور داخل البناء الذي تتواجد فيه؛
- وهذه الأدوار هي التي تشكل ثنائية الحق والواجب.

❖ **كما ترى البنيوية أن للبناء الاجتماعي نسقين (نسق عمودي ونسق أفقي):**

- فهدف النسق العمودي هو السيطرة والضبط (بتدرج السلطة/هرم السلطة)؛
- أما هدف النسق الأفقي هو تحديد مكان المسؤولية ومراعاة الإختصاص وتقسيم العمل وزيادة حجم المؤسسة (أو البنية) وتوسيعها.

❖ **كما تعتقد النظرية البنيوية بوجود نظام قيمي يحدد الحقوق والواجبات (أي الأدوار)، ويرسم قنوات الإتصال ويوضح الممارسات التي يقبلها النظام ويقرها وتلك التي يرفضها.**

- تعتقد النظرية البنيوية بوجود نظام قيمي يحدد الحقوق والواجبات؛
- تتمظهر هذه الحقوق والواجبات من خلال الدور المؤدى أو جملة الأدوار داخل كل بنية؛
- يرسم هذا النظام القيمي قنوات الاتصال بين البنى المختلفة ويحدد الممارسات التي يقبلها النظام ويقرها وتلك الممارسات التي يرفضها أو تلك الممارسات التي لا تساهم في استقرار البنية عموما.

❖ **تحدد البنيوية العلاقة المتفاعلة بين الدور الاجتماعي والشخصية (الفرد) من جهة، وبين الدور الاجتماعي والبناء الاجتماعي من جهة أخرى، لأن الدور الاجتماعي هو حلقة الوصل بين الفرد والمجتمع.**

- بمعنى أن شخصية الفرد تمنحه، او كل فرد له دوره داخل المجتمع؛
- وكل بناء له دوره داخل المجتمع كذلك؛
- وترى البنيوية أن حلقة الوصل بين الفرد والمجتمع هي الدور الاجتماعي.

❖ **تحدد البنيوية قوى أو عوامل الاستقرار الاجتماعي:**

- والتي من بينها: التنشئة الاجتماعية، ووسائل الضبط الاجتماعي (الدين والقانون)، وتحدد عوامل التغير الاجتماعي والتي من بينها: التصنيع الحروب، التنمية؛

- فعلى سبيل المثال عندما تتعرض البنية الاجتماعية لحرب فإنها تتغير، أيضا التصنيع هو أساس التنمية وهو أهم عامل لتغير البناء الاجتماعي؛
- تحدد البنيوية العديد من الظواهر التي ترسم أطر البناء الاجتماعي كالطبقية والبناء الطبقي، السكان والبناء السكاني، والعنصر والبناء العنصري،،،

2- النظرية الوظيفية (Functional theory)

- هي نظرية تقوم على اعتبار مصطلح الوظيفة الأداة المفاهيمية الرئيسية لدراسة النظام الاجتماعي، وتنطلق الوظيفية من مسلمة أن كل نظام اجتماعي يتكون من عناصر تترابط فيما بينها انطلاقا من الوظائف التي تؤديها في المجتمع ويعتبر العالمان الانثروبولوجيان برونسلو مالينوفسكي(1884/1942)، وراد كليف براون (1881-1955) رائدا الفكر الوظيفي.
- يركز التحليل الوظيفي على نتائج وآثار وجود الظاهرة أكثر من تركيزه على مسببات ومصادر نشأتها.
- اتخذ مفهوم الوظيفة في علم الاجتماع في القرن التاسع عشر **طابع الحتمية** متأثرا بأطروحات المدرسة الاجتماعية البيولوجية التي ترى انه طالما أن وظائف الجسم البشري حتمية وثابتة، فكذلك الحال بالنسبة للمجتمع، (ورواد هذه النظرة هم هربرت سبنسر واوغست كونت).
- ويعود الفضل لدوركايم لاخراج المفهوم من الحتمية إلى النسبية، حيث أن الوضعية تنظر إلى الظواهر نظرة نسبية.
- يقول دوركايم أن هناك وظائف لا تقابلها بنى، كما قد تكون هناك بناءات وعناصر لا تؤدي وظيفة معينة في المجتمع.
- **مفهوم الوظيفة :** شرح مووس مفهوم الوظيفة عندما صاغ نظريته عن الظواهر الاجتماعية الكلية بقوله : أن كل شيء في المجتمع هو بالدرجة الأولى وظيفة ويؤدي وظيفة. والوظيفة هي الدور أو المساهمة التي يؤديها النظام في البناء الاجتماعي.

3- النظرية البنائية- الوظيفية (Structuralist-Functional theory)

ظهرت **"البنائية الوظيفية"** (Structural-Functional Theory) كواحدة من النماذج النظرية الرئيسية لعلم الاجتماع، في أعقاب ظهور أفكار البنائيين والوظيفيين في تصور المجتمع والظواهر الاجتماعية، وهي من بين أهم النظريات السوسيولوجية (العلمية أو القائمة على المنهج العلمي)، التي جاءت لتتجاوز القصور والإخفاق الذي لحق بالبنائية والوظيفية كنظريتين لكل منهما أفكار أحادية الجوانب في النظر إلى المجتمع (البناء مقابل الوظيفة):

كغيرها من النظريات السوسيولوجية تقوم "البنائية-الوظيفية" على مجموعة من المقولات والأفكار الأساسية، فقد جاءت البنائية-الوظيفية مع اسهامات **"هربرت سبنسر"** (Herbert Spencer)، وتطورت مع اجتهادات **"تالكوت بارسونز"** (Talcott Parsons).

- **من بين الخصائص أو المقومات المميزة للبنائية الوظيفية حسب تالكوت بارسونز، أنها:**

1. تنظر للمجتمع (أو "النسق" كما يسميه أنصارها) في ضوء مفهومي البناء والوظيفة، ومن هنا سماها أنصارها بالنظرية النسقية" (النسق: مجموعة الأجزاء ذات الإعتماد المتبادل والمتساند/المتضامن فيما بينها).
2. تصف النظرية البنائية-الوظيفية، الحدود القائمة بين الأنساق الاجتماعية، حيث لكل منها وظيفة تتكامل مع الأنساق الأخرى (النسق الثقافي، النسق السياسي، النسق الاقتصادي،،،،،).
3. يكون النسق في حالة إتزان مستمر، وأي تغير يمس نسقا فرعيا/جزئيا يؤدي إلى تغير النسق العام.

❖ **ترى البنائية-الوظيفية، أن لكل نسق أربعة مستلزمات وظيفية حددها "تالكوت بارسونز"**باختصار في مخطط سماه (AGIL)، وقد قام بتعريف النظام/النسق الإجتماعي من خلال منهجه الذي يعتمد على:

- وظائف **التكيف** (Adaptation) مع المحيط الخارجي الذي يضمن للنسق بقاءه، وتحاول هذه الوظيفة تحقيق التوافق مع البيئة المحيطة به، جنبا إلى جنب مع محاولات تغيير بعض عناصر هذه البيئة بما يحقق له الإستمرار والنجاح.
- وظائف **تحقيق الهدف** (Goal)، فالنسق لا يعمل إلا إذا كان موجها بهدف/أهداف، ويعني ذلك قيان النسق بتحديد أهدافه وتعبئة الموارد والإمكانيات لتحقيقه.
- وظائف **التكامل** بين الأنساق الفرعية (Integration)، ويشير ذلك إلى إلى استحداث تنظيم مجموعة من العلاقات بين الوحدات المشكلة للنسق مع تحقيق التنسيق ودمجها في كيان متفرد.
- وظائف **الحفاظ على النمط** (الكامن) **والمعايير** (Latten patern) الموجودة داخل النسق/النظام، وتشير هذه الوظيفة إلى محاولة النسق الإحتفاظ بالنماذج الثقافية والحفاظ على ذاته مع مرور الزمن.

❖ **حسب بارسونز هذه الوظائف تتطابق مع الأنساق الفرعية، بحيث يقول أن:**

- النسق الفرعي **الاقتصادي** يضمن وظيفة التكيف: تتمثل وظيفة التكيف في تحقيق الاحتياجات الأساسية للحصول على المادة (المال) للنظام عن طريق انتاج المواد أو إنتاج الخدمات، وهذه هي الوظيفة الأساسية لهذا النظام الاجتماعي الفرعي لكي يتكيف الإنسان في بيئته، وهذه هي الوظيفة الاقتصادية.
- النسق الفرعي **السياسي** يضمن وظيفة تحقيق الهدف (في اتخاذ القرار مثلا)
- النسق الفرعي **الاجتماعي** يقوم بوظيفة التكامل (انطلاقا من مؤسسات الضبط الاجتماعي الرسمية كالقانون، وغير الرسمية مثل الآداب والأخلاق العامة)، فوظيفة التكامل هي تنفيذ الهدف من خلال تحقيقه في أشكال القانون أو التنظيم أو غير ذلك من اجل تكامل الأنظمة.
- النسق الفرعي **الثقافي** يؤدي وظيفة الحفاظ على النمط الكامن داخل الأنظمة والذي يسمى عادة **"الثقافة" و"التعليم"**(من خلال عمليات ومؤسسات التنشئة الاجتماعية)،

❖ داخل النظرية البنائية-الوظيفية، نجد دائما دراسات تالكوت بارسونز الذي حدد أيضا من خلال أفكاره في مؤلفاته، بنية الفعل الاجتماع الاجتماعي، ففي كتابه (بنية الفعل الاجتماعي الذي صدر سنة 1937)، **حدد باسونز نموذج الفعل الإنساني الذي يتكون من:**

- وجود الفاعل، له نطاق من الأهداف أو الغايات أو المفاضلات التي يختار بينها ، له جملة من الوسائل المتاحة التي تساعده على الوصول إلى هذه الغايات، والبيئة الخارجية بما فيها من عوامل تحد من قدرة الفاعل على الاختيار.
- وأهم شيء هو أن البيئة تحتوي على معايير وقيم تؤثر على اختيارات الفاعل حتى وإن توفرت العوامل الدافعة.
- وبالتالي لم يكن اهتمام باسونز منصبا على الفعل الفردي فقط ، بل على أنساق الفعل الذي يتكون من العلاقات القائمة بين الفاعلين الذين يطمح كل منهم للحصول على أقصى درجات االإشباع، معتبرا المجتمع ككل وما فيه من مؤسسات مختلفة عبارة عن شبكة من الأدوار التي تحكمها معايير وقيم ثابتة.

أفكار روبرت ميرتون في النظرية البنائية الوظيفية:

في سياق آخر قدم روبرت ميرتون إسهاما مختلفا في البنائية الوظيفية، يؤكد فيه على ثلاث مفاهيم وأضدادها:

1. **المعوقات الوظيفية (اللاوظيفة) مقابل الوظيفة:** بمعنى أن روبرت ميرتون يرىأن البناء الاجتماعي وما فيه من وظائف ليس بالضرورة بناء تؤدى فيه الوظائف وقد تتخل هذا البناء مجموعة من المعوقات الوظيفية (مثال وظيفة ولاوظيفة الأبنية في الجامعة).
2. **الوظائف الكامنة مقابل الوظائف الظاهرة:** من المفروض أن المسجد كبناء اجتماعي وظيفته الظاهرة يضمن وظيفة العبادة، ولكن المسجد قد يؤدي وظائف كامنة مثل وظيفة التنشئة الاجتماعية وحتى وظيفة المساهمة في الضبط الاجتماعي.
3. **البدائل الوظيفية مقابل الحتمية الوظيفية:**

- ترى **الحتمية الوظيفية** أن كل وظيفة تؤدى انطلاقا من عضو معين بينما البدائل الوظيفية عند روبرت ميرتون يرى أن الوظيفة الواحدة يمكن ان تؤدى انطلاقا من عدة ابنية في المجتمع، وبذلك يؤكد ميرتون على محدودية فكرة التكامل والتساند المطلق التي عرضها تالكوت بارسونز في تحليله البنائي الوظيفي؛
- فالنسق مهما كان متسقا في أجزائه لابد ان يحمل بعض العناصر التي لا تنسجم ولا تتوافق مع الكل. وعلى الرغم من أن النسق لا يخلو من الخلل الوظيفي، إلا أنه بخصائصه يمتلك القدرة على حل التناقضات والتوترات وصولا للتكامل، وهو ما يجعل التغيير يحدث بصورة تدريجية وغير مفاجئة، وتأتي هذه التغييرات من مصادر ثلاثة هي: تكيف النسق مع التغيرات الخارجية، النمو الناتج عن الإختلاف الوظيفي و الثقافي، التجديد والإبداع من جانب أجزاء النسق.

الإنتقادات الموجهة للنظرية البنائية-الوظيفية:

يرى نقاد البنائية الوظيفية أن روادها قد اخفقوا في الوصول على صياغة نظرية عامة للمجتمع رغم محاولة ميرتون وغيره من المحدثين لسد ثغرات أطروحات تالكوت بارسونز، ويعدد النقاد بعض الإخفاقات، أهمها:

1. تركيز النظرية على فكرة التساند والتضامن والتوازن والتكامل وإهمال الصراع التغير واللاتوازن والإضطراب.
2. عموما شكلت البنائية الوظيفية أيديولوجية محافظة، تميزت بالتعقيد وصعوبة الفهم، رغم اسهاماتها.
3. التحيز الأيديولوجي، فهي نظرية جاءت لتبرير الوضع القائم في نظام قائم، أي تبرير ممارسات النظام الرأسمالي آنذاك.

المراجع المعتمدة:

- خالد حامد ، "مدخل إلى علم الاجتماع، الطبعة الثانية (الجزائر: جسور للنشر والتوزيع، 2012).
- محمد عبد المعبود مرسي،"علم الإجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الإجتماعي دراسة تحليلية نقدية"، الطبعة الأولى (القصيم، السعودية: مكتبة العليقي الحديثة، ب.س.ن).

https://shorturl.at/gCHPV

- Talcott Parsons, **''The Social System''** (Uk: Routledge, 1991). https://bit.ly/3sCUTwW
- Surachai Tumtavitikul, "Talcott Parsons' AGIL Schema-based System Identification of Administrative Problems of North-East Vocational Education in Thailand", **Chinese Business Review** Vol. 12, No. 11(November 2013), 747-761. https://bit.ly/475tSBj